الإمام الحسين (ع) راية تنتصر

<"xml encoding="UTF-8?>

في خضمّ الصراع الأبدي بين النور الإلهي المتمثّل بنور العقل والأنبياء والعلماء ، وبين خداع الشيطان ، ومحاولة الطغاة ؛ لتغييب الأنبياء (عليهم السّلام) ودورهم ، وقتل الأولياء ، في هذا الخضمّ جاءت ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) .

فقد تفجّرت هذه الثورة الربّانيّة في الواقع كحركة تصحيحيّة كبرى ، وحركة مكمّلة ومتمّمة لحركة الأنبياء جميعاً ؛ لتكون ميزاناً بين الحقّ والباطل ، وبين علماء الله ووعّاظ السلاطين .

وهي نهضة وقيام ، ومسيرة وملحمة ، ومهما تمادينا بالوصف ما بلغنا عشر معشار حقيقتها .

ولكن الإمام الصادق (عليه السّلام) يعلمنا كيف نخاطب عملاق هذه الثورة ، فنقف ونقول : ((السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله ، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله ...)) .

فالذي يعرف تاريخ آدم وقصّته ، يعرف مدى آفاق هذه الكلمة , إذ هو وارث مَنْ أسجد الله له الملائكة أجمعين ، وهو وارث النبي نوح شيخ المرسلين (عليه السّلام) ، الذي أنجاه الله تعالى من الطوفان ، وجعله أباً للبشريّة الجديدة ، وهو وارث النبي إبراهيم (عليه السّلام) محطّم الأصنام ، وصاحب الملّة المسلمة ، وهو وارث النبي موسى (عليه السّلام) الذي دمّر عرش فرعون ، وهو وارث النبي عيسى روح الله (عليه السّلام) وكلمته ، وهو وارث جميع الأنبياء والرسل بما يمثّلون من رسالة إلهية عظمى ، وآخرهم النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) .

ولذلك فإنّ الواحد منّا بحاجة إلى أسفار وأسفار نكتب فيها عن السرّ الأعظم الذي استطاع به الإمام الحسين (عليه السّلام) تلخيص تاريخ كلّ النبوّات في لحظات ، وحقيقة تاريخ الصراع الأزلي بين الحقّ والباطل .

إنّ الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) قد ختم الصراع بين الحقّ والباطل لمصلحة الحقّ ، بخاتم النصر ، والفتح المبين ، وكانت شهادته ميعاداً للأنبياء وموعداً لهم مع النصر الأبدي المؤزّر .

إنّ النصر الحسيني أنضمّ إليه كلّ المجاهدين عبر التاريخ ، فحاربوا الطغاة وقمعوهم ، وأسكتوهم وأنزلوهم عن عروشهم ، فأصبح الإمام الحسين ثار الله والحبل المتصل بكلّ السنن الإلهية ، وبملكوت السماوات والأرض .

وهو الذي خصّه نصّ الزيارة الواردة عن الأئمّة المعصومين ، والذي ينعت الحسين بأنّ السماوات والأرض بكتا مقتله الشريف ؛ أي إنّ السماوات والأرض قد تجاوبتا مع حركة الإمام الحسين (سلام الله عليه) ، فساعدتا ونصرتا مَنْ نصر الحسين ، وهذا معنى بكاء السماوات والأرض .

ثمّ السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره ، والوتر الموتور ، أي إنّ هذه القتلة ، وهذه الشهادة ، وهذا الدم الذي أُريق لا يمكن أن تنتهي إلاّ بانتصار الحقّ كلّه على الباطل كلّه ، فهذه الكرة الأرضية يجب أن تُطهّر من كلّ فاسق وفاجر ، ومنافق وجائر .

إنّ العلماء الربانيّين الذين أتقنوا الدرس جيداً فأصبحوا مصابيح للأمّة الإسلامية ، لم يحملوا ولن يحملوا سوى راية الثورة الحسينيّة ؛ لأنّها مصدر طاقتهم ووقودهم ، فكان الواحد منهم يتمنّى أن يُقتل في سبيل الله ؛ فيحذو حذو سيّد الشهداء (عليه السّلام) ؛ ليكون فداءً لدين الله .

ولولا تضحيات هؤلاء العلماء لما قام للمسلمين قائمة ، ولكان طواغيت الزمان يحرمون الناس من الهواء الذي يتنفسونه ، فكان علمهم وتضحيتهم وشهادتهم هي التي فضحت الطواغيت والشياطين .

وكم رأينا من العلماء الشهداء الذين حملوا أرواحهم على أكفّهم يتوقعون الشهادة في كلّ حين ، فكانت شجاعتهم وبطولاتهم ، وهممهم وعلوّ طموحهم ، قد حوّلتهم إلى صروح شامخة بوجه كلّ سلطان طاغوت وشيطان مارد ، فهم حافظوا على اتقّاد المصباح المنير للأمّة .

ومن مقابل ذلك ، فضحت حركة الإمام الحسين (عليه السّلام) علماء السوء الذين تتعدد أنواعهم ، فمنهم مَنْ كان يتخفّى وراء الصلاة في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ويدّعي أرجحيتها على الالتحاق بركب الحسين (عليه السّلام) ، غافلاً أو متغافلاً عن قوله سبحانه وتعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) . وهناك صنف آخر من علماء السوء يتذرّع بأسلوب الإصلاح الداخلي ، فيقول : نذهب مع السلاطين ؛ لكي نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ونقضي بالحقّ ، ولكنّه يعرف قبل كلّ فرد بأنّه سينخرط شيئاً فشيئاً في مسيرة يزيد وابن زياد ؛ ليكون كشريح القاضي الذي أفتى بقتل ابن رسول الله وأصحابه .

فالإمام الحسين (عليه السّلام) ترجم عملياً قول النبي (صلّى الله عليه وآله) : ((إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك)) . كما ترجم قول أبيه أمير المؤمنين (عليه السّلام) لشريح حينما ولاّه القضاء : ((يا شريح ، جلست مجلساً لا يجلسه إلاّ نبي ، أو وصي نبي ، أو شقي)) . ولكن شريحاً لم يع الدرس ، أو تغافل عنه عن سابق إصرار ، فكان الأمر بحاجة إلى وضوح وتجسّد ومثال ظاهر للعيان .

وبحركة الإمام الحسين وثورته وضعت النقاط على الحروف ، واكتشف الناس واقعهم وحقيقتهم ، فكانت لله الحجّة البالغة عليهم .

كما فضح سيّد الشهداء نوعاً آخر من العلماء الذين ارتأوا الاعتزال السلبي عامل خلاص من الفتنة ، والمحنة والابتلاء الإلهي ، فأقنعوا كثيراً من الناس بمقولة : ما لنا والدخول بين السلاطين ، التي يختلط في طيّاتها الحقّ بالباطل ، وتتأتى فيها الفرصة الذهبية لأهل الباطل فيقضون فيها على أهل الحقّ ، تماماً كما خان الناس مسلم بن عقيل ، وسلّموه إلى ابن زياد وحيداً فريداً ، وذلك حينما علموا منه أنّه لا يعدهم بالمال ، وتوفير المصالح الشخصية والدنيوية .

لقد علّمت حركة الإمام الحسين (عليه السّلام) الناس بأن لا يتركوا قادتهم وعلماءهم في ساعة العسرة ؛ لأنّ الأمر سينتهي بهم كما انتهى بأهل الكوفة ، الذين قتل ابن زياد قادتهم ، ثمّ تفرّغ لهم ، فراح يكيل لهم الضربة بعد الضربة ، والظلم تلو الظلم .

ورغم ذلك نرى أنّ سيّد الشهداء خاطبهم في خضمّ واقعة كربلاء بندائه : ((يا شيعة آل أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين ، فكونوا أحراراً في دنياكم)) ، فالذي لا يدافع عن القيادة الحقّة ليس من شيعتها ، وإنّما من شيعة القيادة الباطلة المتجسّدة بالسلوك الأموي والمخطّط له ، وهو أبو سفيان (لعنه الله) .

ولذلك يحدّثنا القرآن عن ضرورة التفريق بين خطّ النفاق وخطّ الإيمان ، كما يحدّثنا عن الكفر والإيمان ؛ لأنّ النفاق يتماوج ويتظاهر بالإيمان ، كما أنّ القرآن الكريم يحرّضنا على ضرورة التعرّف على القيادة المؤمنة فنتبعها ، ثمّ

نتعرّف على أهل النفاق والكفر فنجابههم ؛ لأنّهم لا يبطنون للمؤمنين وخطّ الإيمان سوى الكراهة والحقد ، والحسد والعزم على الظلم .

وثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) قد كشفت للتاريخ والأجيال حقيقة الخطوط ورجالاتها ، وأناطت كلّ خطّ بأشخاصه ، فكان حرياً بالمؤمنين عبر العصور أن يستضيئوا بمصباح الحسين الذي هو مصباح الهدى ، وأن يركبوا سفينة الحسين التي هي سفينة النجاة من أمواج الظلم والطغيان ، والظلام المنتشر بفعل إصرار الشياطين والطواغيت .